

المنهاج الفلسطيني و التنشئة السياسية

للطفل في فلسطين

عيسى أبو زهيرة*

مجلة رؤية

نيسان 2001

<http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/8/page4.htm>

حظيت قضية التربية السياسية والاجتماعية للنشء باهتمام فلاسفة ومفكري السياسة منذ القدم. ففي القرن السادس قبل الميلاد، أرجع الفيلسوف الصيني كونفوشيوس فساد حكم المواطنة الصالحة إلى عدم قدرة الأسرة على تلقين أطفالها قيم الفضيلة والحب المتبادل والمصلحة العامة للوطن.

ولهذا دعا الدولة إلى تحمل مهمة التنشئة السلمية ابتغاء خلق نظام اجتماعي سياسي يؤدي إلى قيام حكم صالح متين(1) وذهب أفلاطون في كتابه "الجمهورية" إلى اعتبار التعليم واحداً من أهم أعمدة الدولة الفاضلة، فهذه الأخيرة لا قيام لها بغير مواطنين صالحين. ولا سبيل إلى خلق المواطن الصالح إلا من خلال نظام تربوي تعليمي مميز.

لا عجب أن يطالب أفلاطون الدولة بتولي مسؤولية الإشراف التام على التعليم وعدم تركه في أيدي أفراد أو هيئات خاصة(2)، وكرس أرسطو الفصل الأخير من سفر "السياسة" للحديث عن التربية. وجاء فيه أن من ضمن واجبات الحاكم أن يهتم غاية الاهتمام بأمر تربية الأطفال. وكل نظام حكم لا بد له من منظومة أخلاقية معينة فالأخلاق الشعبية تنشئ الحكم الشعبي وتصونه.

والأخلاق الأوليغارشية تنشئ حكم الأقلية وتصونه، ولما كانت غاية الدول واحدة، وجب أن تكون التربية نمائتة للجميع وأن يكون السهر عليها من شؤون العامة وليس من شؤون الخاصة(3)، وفي العصر الحديث، راح منتسكيو يعزو انتصار الرومان إلى روحهم البطولية التي غذتها وعززتها عقيدتهم. وحينما ذهبت عنهم هذه الروح في ركاب انشغالهم بالغنائم وتأثرهم بعقائد وثقافات الشعوب التي خضعت لهم، أقل نجم الإمبراطورية الرومانية. كما نبه روسو إلى تأثير الثقافة والتنشئة السياسية على نظام الحكم وسياستها العامة(4).

هذا التناول لمسألة تربية الناشئة شكل الأساس والمنطلق للاهتمام الكبير الذي أولاه علم السياسة المعاصر لموضوع التنشئة السياسية، ذلك الاهتمام الذي يشهد له سيل متدفق من المباحث النظرية والدراسات العلمية حول الموضوع خلال العقود الأربعة المنصرمة. وانصب اهتمام أغلب هذه الدراسات على تنشئة الأطفال: ماذا يتعلمون؟ من خلال أية قنوات توجه إليهم الرسائل التربوية؟

وفي هذا الخصوص، إنصرف جزء يعتد به من الجهد البحثي إلى الدور التربوي والتنقيفي للمدرسة والذي يسلم بأهمية الأمر لرجل التربية في كافة الدول. وإذ ندرك دورنا أهمية وخطورة هذا الدور، رأينا إجراء الدراسة الحالية بهدف التعرف على مضامين التنشئة السياسية للطفل الفلسطيني داخل المدرسة في فلسطين. وتقع الدراسة في ثلاثة مباحث. يعرض أولها لإطار البحث نظرياً ومنهجياً. ويتناول المبحث الثاني مجموعة المدركات والاتجاهات السياسية التي تبثها المقررات الدراسية في أذهان الأطفال بخصوص السلطة السياسية والجمهير. ويغطي المبحث الثالث ما يلحق للنشء داخل المدرسة عن الهوية والانتماء.

المبحث الأول

الإطار النظري والمنهجي للدراسة

أولاً: موضوع الدراسة

إن الأطفال في أي مجتمع هم رجال المستقبل الذين سوف يصنعون بإرادتهم وفكرهم وتعليمهم مستقبلاً زاهراً لبلدهم، والطفل جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي هو فيه، ولذا تعلق الدول أهمية كبيرة وخاصة على تربيتهم وتنشئتهم وتوفير لهم الدعم المناسب حتى يكونوا مواطنين صالحين يخدمون وطنهم ويدافعون عن حقوقه.

فمن المتعارف عليه أن الأطفال يكتسبون القيم والتصورات والمعتقدات السياسية من خلال ما يتعرضون له من تنشئة وأفكار وقيم من الجماعات المختلفة التي يتبعون لها ومنها المدرسة والأسرة ودور العبادة والرفاق ووسائل الإعلام والأحزاب المختلفة.. الخ، ومن خلال القيم السائدة في مجتمعهم والتي من شأنها أن تؤثر على سلوكهم وفعلهم السياسي في مرحلة النضج وترسم لهم نهجاً خاصاً ليسيروا عليه. وإن هذه المعتقدات والخبرات والمعارف والعمليات التربوية والتصورات التي يتعرض لها الطفل أثناء تنشئته تشكل جزئياً هويته ومعارفه واتجاهاته ومواقفه السياسية.

ونظراً لأن الأسرة في الدول النامية لا تزال إلى حد كبير أسيره الثقافة التقليدية، فليس غريباً أن تعول هذه الدول كثيراً على المدرسة في مجال تربية وإعداد الطالب لتحمل أدوار ومهام المواطنة المسؤولة، حيث أن المدرسة تعتبر في سائر النظم السياسية إحدى الركائز الخطرة والمهمة في عملية إنشاء الفرد حيث أن هذه الركيزة تؤدي من خلال ما تتضمنه المقررات التعليمية ونمط العلاقة بين المعلم والتلميذ، ونوعية حدود النشاط الاجتماعي الذي تقوم به المدرسة.

تهدف هذه الدراسة إلى إجلاء حقيقة الدور الذي تضطلع به المدرسة في التربية السياسية للأطفال في فلسطين وذلك برصد عناصر الثقافة السياسية، أي المفاهيم والرؤى والمعارف والتوجهات التي تلقن لهم، سواء كانت ذات مضمون سياسي مباشر، أو ذات مضمون اجتماعي له دلالاته السياسية. وبهذا الخصوص تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1— كيف تسهم المدرسة في تشكيل عقل ونفسية الطفل تجاه الحكومة والدولة؟؟

2— على أي نحو تؤثر المدرسة في رؤية وتصور الطفل لدولة الجماهير؟؟

3— ما هو دور المدرسة في خلق الوعي والانتماء الوطني والقومي لدى الطفل؟؟

4— ما هي التوجهات القيمة التي تبثها المدرسة في ذهن الطفل؟

ثانياً: تعريف المفاهيم المستخدمة في الدراسة

1— الثقافة السياسية: تتعدد تعريفات هذا المفهوم في الأدبيات السياسية. إذ يعرفها سيدني بأنها "المعتقدات الواقعية والرموز التعبيرية والقيم التي تحدد الوضع الذي يحدث الفعل السياسي في إطاره" (5) ويقصد بها إريك روي "مفاهيم وقيم واتجاهات

الأفراد نحو شئون السياسة والحكم" (6)، من هذه التعاريف يتضح ان الثقافة السياسية تشمل عناصر معنوية متعددة ومهمة: (المعارف والمفاهيم والقيم والاتجاهات السياسية). كما أنها تؤثر في توجيه السلوك والفصل السياسي للأفراد حكماً ومحكوماً.

2- التنشئة السياسية: لهذا المفهوم بدوره تعريفات متعددة. من ذلك مثلاً قول هيربرت هايمان "التنشئة السياسية هي تعلم الفرد لمعايير اجتماعية عبر مختلف مؤسسات المجتمع تساعده على أن يتعايش سلوكياً معه" (7) ويذهب كينيث لانجتون إلى أن المقصود بالتنشئة السياسية "عملية نقل ثقافة المجتمع من جيل إلى جيل" (8) ويقترح فريد جرينشتين تعريفاً مفاده أنها "التلقين الرسمي وغير الرسمي، المخطط للمعارف والقيم والسلوكيات السياسية وسمات الشخصية ذات الدلالة السياسية وذلك في كافة مراحل حياة الإنسان عن طريق المؤسسات المختلفة التي يحتضنها المجتمع" (9). ويقصد بها نورمان أولر ونشارلز هارنجتون "عملية تعلم القيم والاتجاهات السياسية والأنماط الاجتماعية ذات المغزى السياسي عن طريق الأسرة والمدرسة والتفاعل مع السلطة والمواقف السياسية المختلفة" (9).

من حصيللة هذه التعريفات، يمكن القول أن التنشئة السياسية بمثابة تلقين واكتساب لثقافة سياسية معينة من خلال الأسرة والمدرسة وجماعات الرفاق والحزب السياسي وأماكن العبادة ووسائل الإعلام وغيرها. كما أنها عملية مستمرة يتعرض لها الإنسان طيلة حياته الاجتماعية والسياسية.

3- المدرسة والتنشئة السياسية: تلعب المدرسة دوراً مهماً في عملية التربية السياسية للطالب عن طريق التنقيف السياسي من ناحية، وطبيعة النظام المدرسي من ناحية أخرى. ويتم التنقيف السياسي من خلال مقررات معينة كالتربية الوطنية التي تهدف إلى تعريف التلميذ بحكومة بلده وتحديد السلوك المتوقع منه، وغرس مشاعر الحب والولاء للوطن. ويرمي تدريس التاريخ إلى تعميق إحساس الناشئ بالفخر والانتماء الوطني حيث يتعرف الطالب من خلال مادة التاريخ على حقوقه. وتهدف كتب القراءة إلى بث مفاهيم وأفكار تقضي إلى تكريس الأيديولوجية أو الفلسفة السائدة. وفيما يتعلق بطبيعة النظام المدرسي، يلاحظ أن المدرسة بمثابة وحدة اجتماعية لها جوها الخاص الذي يساعد، بدرجة أو بأخرى على تشكيل إحساس التلميذ بالفاعلية الشخصية وتحديد نظرته تجاه البناء الاجتماعي والسياسي القائم. ويشار في هذا الصدد إلى تأثير كل من نوعية المدرس وطبيعته وعلاقته بالطالب ومدى تواجد التنظيمات المدرسية:

— نوعية المدرس وامتواؤه الطبقي: كلما كان المعلم ضالماً في مادته العلمية، وقريباً إلى أفئدة الطلاب ومؤمناً بالأيديولوجية السائدة وملتزمًا بها في تصرفاته، كان أكثر قدرة على غرسها في عقول التلاميذ، والعكس صحيح. كما تؤثر الخلفية الطبقيّة للمعلم في تحليله للنص وفي طريقة توصيله للتلاميذ في هذا المجال أيضاً.

— علاقة المعلم بالتلاميذ: تختلف علاقة المعلم بتلاميذه من مدرسة إلى أخرى وتختلف أيضاً بحسب طبيعة المعلم وطبيعة الجو السائد، قد تكون هذه العلاقة تسلطية بحيث لا يجرؤ الطالب على مناقشة المدرس أو مخالفته في الرأي وهذا يحدث لدى الفرد نوعاً من الطمس لإبداعه فعندما يحدث هذا الطمس يصبح الطالب غير مهتم بالتعرف على هذه المادة. ويمكن أن يحدث العكس في حالة ديمقراطية العلاقة بين المدرس والطلبة حيث يعطي المدرس الفرصة لكل الطلاب لإبداء رأيهم في قضية ما وهذا يخلق لديهم الإبداع وحب المعرفة وحب الاستزادة.

— التنظيمات المدرسية: ويطلق هذا التعبير على الاتحادات والجماعات والأسر الطلابية، ومن الأمثلة عليها "مجلس الطلبة" في المدرسة. يتوقف نمو إحساس التلميذ بالافتقار الذاتي والانتماء الجماعي على مدى توافر مثل هذه التنظيمات الطلابية ودرجة مساهمتها في إدارة المدرسة وتوجيه أنشطتها وفعاليتها (10). وغنى عن البيان أن المدرسة تبلغ أقصى درجات الفاعلية في التنشئة السياسية إذا كان ثمة تطابق بين ما تقوله وما تفعله. أما إذا وجد تعارض بين مضامين المقررات الدراسية وبين سلوك المعلمين، تقلص التأثير التربوي للمدرسة. ومثال على ذلك تشديد المقررات على القيم والمساواة والعمل بينما يطيح المعلمون بهذه القيم في تعاملهم مع التلاميذ.

ثالثاً: الدراسات السابقة: كثيرة هي البحوث العلمية التي اهتمت بالتنشئة السياسية للأطفال في المجتمعات الغربية لاسيما المجتمع الأمريكي. واعتمدت على الاستبيانات في جمع المعلومات، وخلصت إلى نتائج مثيرة من أهمها(11):

1— يبدأ التعليم السياسي للطفل الأمريكي في سن الثالثة، إذ يرتبط عاطفياً برموز بلده وهيكل وصور نظامها السياسي قبل وعيه بالعالم السياسي.

2— في بداية مرحلة الطفولة، يغلب أن تكون صورة الطفل عن رئيس الجمهورية مشابهة لصورته عن والده.

3— الأطفال الذين ينتمون إلى طبقات اجتماعية عليا يتفوقون على أقرانهم المنتمين لطبقات دنيا في القدرات والاستعدادات للمشاركة.

4— يبدي الأطفال الزوج إعجاباً بالمجتمع الأمريكي في مرحلة معينة. لكن هذا الإعجاب لا يلبث أن يتلاشى مع تقدمهم في السن ربما لانهم يصطدمون بالواقع المعاش، وبذلك تتحول مشاعر الانبهار والحب والانتماء إلى مشاعر اغتراب وكرهية.

أما على صعيد الوطن العربي فقد أنجزت بالفعل عدد محدود من الدراسات عن التنشئة السياسية للأطفال نعرض منها التالي:

1— دراسة عبد الباسط عبد المعطي بعنوان "التعليم وتزييف الوعي"(12). يهدف هذا البحث إلى الإجابة على التساؤلات التالية: هل التعليم في مصر يسهم في تزييف الوعي الاجتماعي للطالب؟ وللإجابة على هذا السؤال، قام الباحث بتحليل مضمون مقرر القراءة للصف السادس الابتدائي واتضح أن المضمون يواكب الأيديولوجية الرسمية والخطاب السياسي ودور الحاكم الفرد وضرورة الطبقات المسيطرة، وتكريس الانفتاح الاقتصادي، وتحقيق السلام الاجتماعي.

2— دراسة نادية سالم "التنشئة السياسية للطفل العربي" دراسة لتحليل الكتب المدرسية(13). هدفت هذه الدراسة للتعرف على دور المدرسة في التنشئة السياسية من خلال تحليل عناصر الثقافة السياسية المتضمنة في كتب المواد الاجتماعية والتربية القومية الموجهة إلى تلاميذ المرحلة الابتدائية في كل من مصر والأردن وسوريا ولبنان. وتوصلت الباحثة إلى النتائج الآتية بالنسبة للحالة المصرية:

— أكدت المقررات فكرة الوطنية المصرية بوصفها شيئاً مستقلاً عن القومية العربية والقومية الإسلامية.

— تركز المقررات المصرية على دور الحكومة، بينما تتعرض لدور المواطن في حدود ضيقة للغاية.

— تركز كتب التاريخ على دور الزعامات أكثر منها على دور الجماهير.

— تحمل الكتب مسؤولية الدفاع عن المجتمع للجيش النظامي.

3— دراسة نجلاء بشور التي تحمل عنوان "القضية الفلسطينية والوحدة العربية في مناهج التعليم في الأردن وسوريا ولبنان"(14). وقد خلصت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

— قلة ما يدرس الطالب العربي الفلسطيني عن قضيته في مناهج الأقطار الثلاثة. "وتأتي لبنان في ذيل القائمة تليها الأردن ثم سوريا".

— تتجه الكتب الأردنية واللبنانية بوجه عام إلى عدم التمييز بين اليهود كمجموعة دينية والصهيونية كحركة سياسية عنصرية. أما الكتب السورية فتتميز بينهما عند التعريف، ثم يظهر الخلط في العرض التاريخي من حيث استخدام كلمتي

يهود وصهيونية كمتراذفتين.

— تربط الكتب السورية والأردنية بين مصالح الاستعمار والصهيونية في الوطن العربي، أما الكتب اللبنانية فلم تظهر هذه العلاقة، ناهيك عن ذكر كلمة الاستعمار أصلاً.

— خلّت الكتب اللبنانية تماماً من كلمتي الوحدة العربية والأمة العربية، وتفوق الكتب السورية إلى حد ما الكتب الأردنية في التعابير الوجدانية.

— تركز كتب التاريخ في الأقطار الثلاثة على دور الأفراد أكثر منها على دور الجماهير والجماعات.

— تعطي الكتب السورية للحالة الشعبية وزناً أكبر من الجيش النظامي في التصدي للصهيونية. أما الكتب الأردنية فتفعل العكس ويتحدث الكتاب اللبناني عن الجيش النظامي.

4— دراسة كمال المنوفي بعنوان "التنشئة السياسية للطفل في مصر والكويت: تحليل مضمون المقررات الدراسية" (15) واستنتج الباحث النقاط التالية:

— ينشأ الطفل العربي في مدارس الكويت ومصر على التوحيد بين الحكومة والدولة والوقوف بجانب السلطة السياسية والاعتماد عليها والثقة فيها وتبني اتجاهات إيجابية حيالها.

— تهيب المدرسة النشء عقلياً ونفسياً على التسليم بدور الفرد وتمجيده مع التهوين من دور الجماعة.

— ترمي التنشئة المدرسية إلى إسباب الطفل هويته الوطنية فالمقررات ترتبط بالوطن أرضاً وتاريخاً وبشراً وتستنير لديه مشاعر الزهو بالانتساب إليه.

— تتفوق المناهج الكويتية على المناهج المصرية في عرض تطورات القضية الفلسطينية وبيان مخاطر الكيان الصهيوني وعلاقته بالاستعمار وتحديد الاستراتيجية المثلى لمواجهته.

المبحث الثاني

يتصدى هذا المبحث لبيان ملامح التصور الذي تقدمه الكتب المدرسية للتلاميذ عن الحكومة والشعب خصوصاً فيما يتعلق بدور ومسؤولية كل طرف في حياة ومسيرة المجتمع

أولاً: السلطة السياسية

تستخدم المناهج التعليمية قيد الفحص في فلسطين مدركات "الحكومة" و"المؤسسات" و"السلطة" و"فصل السلطات" و"سيادة القانون" كمتراذفات دون تمييز بينها، بل ودون تحديد لمعانيها بالرغم من أن تلك المفاهيم لها مدلولاتها وتعريفاتها المتميزة في الأدبيات السياسية. وسواء كان ذلك الاستخدام التبادلي لمفاهيم مختلفة في معانيها أمراً مقصوداً أم لا، فالنتيجة هي تولد حالة ذهنية عند الناشئة توحد بين الحكومة وسيادة القانون والعمل المؤسساتي وتعتبر الخضوع للحكومة ضماناً لبناء دولة القانون والمؤسسات، والخروج عليها وبالاً على وجود دولة القانون والمؤسسات.

ويعني هذا في التحليل النهائي زيادة الاستعداد للعمل القانوني والمؤسساتي مع استهجان وإدانة الأعمال الخارجية على

القانون والمجتمع المدني والمؤسساتي، وإذا كان يمكن للحكومة أن تعرّف بأنها السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية، إلا أن المجالس النيابية (الوطني والتشريعي) أتت بقوة وخاصة في كتب التربية المدنية والتربية الوطنية. ففي مقررات الصف الأول الأساسي تكررت مفاهيم الديمقراطية (51) مرة وكلمة المجلس التشريعي والوطني (20) مرة.

وفي مقررات الصف السادس الأساسي تكرر مفهوم الديمقراطية (149) مرة والمجلس التشريعي والوطني (59) مرة.

وفي سبيل خلق ثقافة سياسية مساندة ومؤيدة للحكومة عند الأطفال، تتناول الكتب التعليمية دور الحكومة بصورة إيجابية دائماً إلى درجة يشعر معها المرء أن الحياة التشريعية والديمقراطية وفصل السلطات ستكون السمة الرئيسية للحكم في فلسطين. هذا التوجه تنطق به كثير من العبارات. فعلى سبيل المثال نقرأ في كتاب التربية المدنية الجزء الثاني "الحوار مع الآخرين" و"الحوار وسيلة التعليم" و"الحوار وسيلة التفاهم" و"كيف أفقح أخي وأختي برأيي" و"إذا لم أتفق مع زميلي على اللعبة التي سنلعبها معاً، كيف أتعامل معه" (16)، وتركز المناهج الفلسطينية عامة والتربية المدنية خاصة على دور مؤسسات المجتمع في الحياة السياسية الفلسطينية. ففي كتاب التربية المدنية للصف السادس الأساسي تكررت كلمة مؤسسة (51) مرة. وفي المقرر ذاته يذكر دور المؤسسة "إن المؤسسات المدنية ذات النشاطات المختلفة، أوجدت حياة مشتركة بين الناس هي الحياة المدنية" (17) لذلك فإن دور الدولة تجاه هذه المؤسسات هو السماح بإنشائها وتقديم المساعدة لها لتشكيل مجتمع مدني تعمل فيه تلك المؤسسات من أجل الخدمة العامة (18) وتشجيع الحكومة الفلسطينية الانضمام إلى الجمعيات والمؤسسات وتأسيسها في المدارس الفلسطينية. ففي المقرر المذكور سلفاً يقول: "هل نستطيع تأسيس جمعية في المدرسة؟ نناقش ذلك علمياً" وتجب: "الانضمام إلى الجمعية عمل تطوعي يشارك فيه الأعضاء بهدف تقديم الخدمات للمحتاجين، ويتعلمون من خلال هذا العمل أصول العمل الديمقراطي" (19).

من ناحية أخرى، يعالج مقرر التربية الوطنية دور ومهام المؤسسات السياسية الفلسطينية، ففي كتاب التربية الوطنية للصف السادس يتحدث عن المجلس الوطني الفلسطيني ويعرفه "بمثابة المجلس التشريعي أو البرلمان الفلسطيني في المنفى الذي يمثل الفلسطينيين في الداخل والخارج، وهو يضع سياسة المنظمة ويراقب تصرفاتها، وعلى عاتقه يقع اختيار رئيس اللجنة التنفيذية" (20) أما فيما يتعلق بنظام الحكم فقد جاء في المقرر المذكور "نظام الحكم في فلسطين نظام ديمقراطي نيابي يعتمد على التعددية السياسية وينتخب فيه رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية من قبل الشعب (21) وتكون الحكومة مسؤولة أمام الرئيس والمجلس التشريعي". وتركز المناهج الفلسطينية على أهمية سيادة القانون "سيادة القانون تعني خضوع جميع أفراد الشعب، بما في ذلك القائمين على أجهزة الحكم لحكم القانون، إذ لا سلطة فوق سلطته" (22)، وتعطي الكتب المدرسية أهمية كبيرة لفصل السلطات "يؤدي فصل السلطات الثلاث إلى تحقيق العدل والمساواة" (23) "عدم تركيز السلطة في هيئة واحدة قد تسيء استعمال السلطة وتحد من حرية الأفراد" (24) "توزيع الدولة للوظائف الهامة على هيئات متخصصة في ميدان عملها يؤدي إلى الإتقان" (25).

ثم يركز المنهج الفلسطيني على الأمور التي يكفلها الدستور الفلسطيني فيقول (26) :

1- تمتع جميع المواطنين بالحرية والأمن الشخصي.

2- ضمان حرية الرأي والتعبير.

3- حق المواطنين في تشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية.

4- احترام صلاحيات الجهاز القضائي في البت في القضايا المعروضة عليه

وتعطي المناهج أهمية بارزة على أهمية احترام الأديان الأخرى والتسامح والتعايش "الفلسطينيون أمام القانون والقضاء سواء: لا تميز بينهم بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو الرأي السياسي" (27)، أفراد المقرر المذكور سابقاً الوحدة الثالثة

الدرس السابع عشر للتسامح "على ماذا يدل تصافح الشيخ والراهب؟" "ما موقف الديانتين الإسلامية والمسيحية من تنظيم العلاقات بين الناس؟"، "الإسلام يدعو إلى التسامح والإخاء مع بني البشر، ويمنح التكريم والحرية للإنسان مهما كانت ديانتهم، أو جنسيته، أو لونه" (28).

قال تعالى: "ولقد كرّمنا بني آدم" آية (7) سورة الإسراء، "لا إكراه في الدين" (29) آية (256) من سورة البقرة. وسيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تقوم على التسامح والمحبة، من ذلك "أن وفداً من نصارى نجران قدم على الرسول في المدينة، ودخل مسجده بعد العصر، فحان وقت صلاتهم فدعاهم الرسول إلى تأديتها فاستقبلوا المشرق وصلوا" (30).

أقرت وثيقة الاستقلال الفلسطينية، أن "الفلسطينيين متساوون أمام القانون والقضاء ولا تميز بينهم بسبب الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون أو الرأي السياسي" (31).

وتدعو المسيحية إلى المحافظة على كرامة الإنسان وحرية، وتنادي بالتسامح والمحبة والسلام والوئام مع البشر، وذلك من قول السيد المسيح: "أحسنوا إلى مبغضيك" (32).

نناقش الآية الكريمة: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" (33).

أفرد المقرر المذكور الوحدة 3 الدرس 18 للحرية فيركز على الآثار الإيجابية للحرية:

1— تطلق الإمكانيات الإبداعية عند الأفراد والجماعات وتظهر المواهب التي تعود بالخير على المجتمع.

2— تعزز استقرار المجتمع، وتقوي الثقة بين أفرادها، وتنتشر الطمأنينة والعدل والمساواة بينهم.

3— تبني مجتمعاً ديمقراطياً يقوم على حرية الرأي وتكوين الأحزاب وانتقاد الحكومة واتخاذ القرارات بمشاركة جماعية. (34).

نناقش مقولة عمر بن الخطاب: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" (35). الأساس بحرية الرأي ولكل إنسان الحق في التعبير عن رأيه (36).

أما المساواة فقد تطرق لها الدرس 19 من المنهاج المذكور: "تساوي أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية".

"إنصاف المرأة في كافة المجالات".

"تكافؤ الفرص بين المواطنين دون تمييز بسبب الدين أو الجنس وضمان حقوقهم في مجتمع لا تفاوت بين طبقاته" (37).

أفسر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الناس سواسية كأسنان المشط" (38).

ويبين المنهاج أن "من واجبات الدولة أن توفر المساواة تجاه مواطنيها"، أبين واجبات الدولة تجاه مواطنيها" (39).

خلاصة القول، إن المناهج الفلسطينية تحاول طبع صورة ديمقراطية لأساس العلاقة بين السلطة السياسية من جهة والمجتمع من جهة أخرى، بحيث تقوم على التسامح مع الآخرين، المساواة، احترام سيادة القانون واحترام الدستور، وحقوق الإنسان، والشفافية والعدل.

المبحث الثالث

الهوية والانتماء

يلحظ المرء في مجموعة المناهج الفلسطينية تشديداً قوياً على الانتماء القطري والوطنية الفلسطينية، وثمة تأكيد على عروبة فلسطين وحرص على تكوين الوعي القومي والإسلامي لدى الناشئة في فلسطين.

أولاً: الهوية الوطنية

من إطلاله على الجدولين رقمي 1، 2، تتضح الكلمات المرتبطة بالتوجه القطري والوطني، فقد تكررت كلمة فلسطين (62) مرة في المناهج الفلسطينية للصف الأول الأساسي و(181) مرة للصف السادس الأساسي. في حين أن كلمة وطن تكررت (70) مرة في مناهج الصف الأول، و(75) مرة للصف السادس. أما دولة فلسطين فقد ذكرت (18) مرة للصف الأول و(65) مرة لمنهاج الصف السادس، أما كلمة فلسطين فقد كررت (36) مرة في منهاج الصف الأول الأساسي، و(109) مرة في منهاج الصف الأول بنسبه 30% من مجمل المجموع العام للكلمات محل الدراسة، في حين كررت (395) مرة في منهاج الصف السادس الأساسي بنسبه 40% من مجموع عام تكرار الكلمات محل الدراسة والبحث(39).

وإذا تفحصنا المقررات الفلسطينية، ظهر لنا مبلغ الحرص على غرس بذرة الانتماء للوطن في الطفل الفلسطيني منذ بداية التحاقه بالمدرسة.

وفي نشيد "وطني" المقرر في كتاب التربية الوطنية للصف الأول الجزء الثاني يجد القارئ إشادة بالوطن، فنرى أهمية التركيز على أنه "أرض الجدود"، وإصرار الشعب الفلسطيني إلا أن يعود "إلى أن تعود" وأن الشعب سيخلد في هذا الوطن "يا شعب الخلود" ويقسم هذا الشعب إلى أن يمضي فدائي حتى فلسطين، "سأحيا فدائي و أمضي فدائي"(40).

ثم يركز المنهاج على أهمية رسم وحفظ خارطة فلسطين التاريخية(41).

ويربط المنهج الفلسطيني بين مفهوم الوطن ومدينة القدس وأهمية التمسك بها وبالأماكن المقدسة فيها(42) ففي كتاب لغتنا الجميلة الجزء الثاني تتكرر كلمة "القدس" (23) مره وفي الجزء الأول (13) مرة.

وفي جميع مقررات الصف الأول الأساسي تتكرر القدس (46) مرة بنسبه 12% من مجموع تكرار الكلمات محل البحث.

أما في مقررات الصف السادس الأساسي فنكررت القدس مثلاً (35) مرة في كتاب لغتنا الجميلة، الجزء الثاني ومجموع تكرار كلمة القدس في منهاج الصف السادس (109) مرة بنسبه مرة من إجمالي عدد تكرار جميع المصطلحات محل الدراسة(43) إضافة إلى ذلك تمتين الولاء وزرع الفخر والاعتزاز والزهو الوطني "وطن مقاوم، وطن متسامح، وطن متعلم، وطن مميز عبر تاريخه ومجتمعه"(44).

ثانياً: الهوية العربية

من المفترض أن تلعب المدرسة دوراً يعتد به في بث وتنمية الوعي والهوية القومية لدى الطفل العربي. ففي رحابها يتعلم الأطفال لغتهم العربية كتابة وقراءة.

ويكتسبون قواعدها ويكتشفون وظائفها التعبيرية وشحناتها الوجدانية لا سيما من خلال الاناشيد والقصص.

كما تسهم دروس القراءة بصفة عامة والمواد المدنية والوطنية بصفة خاصة في تقديم المحتوى المعرفي للهوية العربية، إذ تزود التلاميذ بحصيلة معرفية عن وطنهم العربي الكبير. تتناول أولاً جغرافيته مكاناً وموقعاً وتضاريس ومناخاً وموارد، وتتناول ثانياً تاريخه العربي الإسلامي بشراً وثقافةً (45). إن التحليل الكمي والكيفي لمحتوى المنهاج الفلسطينية يبين بالفعل حرصاً أكيداً على تكوين وعي عربي عند الطفل وخلق إحساس لديه بالذاتية والكونية العربية.

فقد وردت الكلمات الدالة على التوجه القومي في المقررات الفلسطينية. وكانت الصدارة لكلمة "الوطن العربي".

في المنهاج الفلسطيني يفرد كتاب التربية الوطنية الدرس الأول للحديث عن عوامل وحده الوطن العربي، ويدعو التلاميذ إلى تأمل القصيدة الوطنية للشاعر السوري فخري البارودي "بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان" (46) ويدعو المنهج إلى التفكير في العوامل البشرية التي توحد سكان الوطن العربي. ويستنتج المقرر عوامل وحده الوطن العربي وهي العوامل الطبيعية والعوامل البشرية والعامل التاريخي والعامل الديني والعامل اللغوي (47).

وحوى منهج القراءة للصف السادس معاني قومية سامية تشعر التلميذ باعتزاز انتمائه إلى وطنه. فالشاعر الفلسطيني محمود درويش يقول في كتاب لغتنا الجميلة الجزء الثاني "سجل ! أنا عربي ورقم بطاقتي خمسون ألف.. ولا أتوسل الصدقات من بابك.. ولا أصغر.. سجل.. برأس الصفحة الأولى.. أنا لا أكره الناس.. ولا أسطو على أحد.. ولكن.. إذا ما جعت.. (48).

ولا يخلو مقرر تاريخ العرب والمسلمين للصف السادس الأساسي من حمل الجمل والعبارات التي تمتدح العرب وتثني على الشخصية العربية "أنشأ العرب قبل الإسلام دولاً عربية، تركت أثار خالدة" (49). والوطن العربي مهد حضارات قديمة زاهرة ومنه انتشرت مظاهر الحضارة إلى أنحاء العالم المعروف آنذاك. وهو كذلك مهبط الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام التي انتشرت من أرضه إلى شتى بقاع المعمورة. ودعا المقرر إلى اكتساب القيم والاتجاهات المتعمقة في التاريخ العربي (50):

1- المحافظة على العادات والتقاليد والقيم السلمية.

2- دعم روح التعاون والتبادل والانفتاح الحضاري بين الشعوب والأمم.

3- احترام مكانة ودور المرأة في المجتمع.

4- تقبل أصحاب ديانات التوحيد.

الخاتمة

بناءً على العرض والدراسة والتحليل السابق للمنهاج الدراسي الفلسطيني الجديد، يمكن رصد الاستنتاجات التالية:

1- ينشأ الطفل الفلسطيني في مدارس فلسطين على أسس كثيرة (التوحيد بين الحكومة والدولة والوقوف بجانب السلطة القانونية والشرعية والاعتماد عليها والثقة في سيادة القانون وتبني اتجاهات إيجابية حيالها) فالحكومة تعمل وفقاً للدستور والقانون وتعمل لمصلحة أبناء المجتمع.

2- تهيئ المدرسة النشء عقلياً ونفسياً على التسليم بدور الجماعة مع التهوين من دور الفرد وعدم تمجيده. فالمقررات الدراسية تعرض للتلاميذ أن حركه المجتمع تصنعها الجماهير من جهة والمؤسسات المدنية والأهلية من جهة أخرى، وأن تغلب المجتمع على المشاكل والأزمات يتوقف أولاً وأخيراً على المشاركة والتعاون بين الجميع. وبذلك تتأصل عندهم الروح الجماعية والإيمان بالعمل الجماهيري.

3- ترمي التنشئة المدرسية إلى إكساب الطفل هويته الوطنية، فمن خلال المقررات الدراسية يرتبط الطالب بالوطن أرضاً وتاريخاً وبشراً. وتستثير لديه مشاعر الزهو بالانتماء إليه وتغذي فيه الاستعداد للذود عنه بالنفس والنفيس. أما الهوية القومية، فنرى المناهج تحرص على خلق توجهات عربية عند النشء من خلال التركيز على عروبة فلسطين، والتعريف بالوطن العربي الكبير، والحديث عن الأمة العربية الواحدة، والتشديد على الحلول القومية للمشكلات التي تعاني منها الأقطار العربية.

هناك إذن أكثر من مستوى للولاء. إذا كانت المناهج لم تذكر صراحة أيهما له الأولوية على الآخر: الانتماء القطري أم الانتماء القومي، إلا أن تحليل المضمون أظهر نزوعاً نحو تغليب التوجه القطري على التوجه القومي. ويمكن أن يطرح في مستويات أعلى بسبب تعقيد اللغة والخلفية المعرفية المطلوبة.

4- تهيئ المدرسة النشء عقلياً ونفسياً على التسامح والتعايش مع الأديان الأخرى وخاصة المسيحية، وتمجيد دور القانون والمؤسسات التشريعية والديمقراطية في تغلب المجتمع على المشاكل والأزمات والصعوبات التي يواجهها من جهة أخرى.

5- ترمي التنشئة المدرسية إلى ربط الطفل بالقدس أرضاً وتاريخاً وديناً، وتغذي فيه الاستعداد للذود عنها بالنفس والنفيس. وتؤكد له ارتباط القدس بفلسطين مصيرياً وتحديثه عن أهمية تحريرها وأخذها عاصمةً لدولة فلسطين المستقلة.

6- المقررات الفلسطينية لا تتحدث بكثرة عن "الضفة الغربية" و"السلطة الوطنية الفلسطينية"، إنها تهيئ الطالب إلى نسيان هذه الكلمات، في حين يتم التركيز على كلمة "وطن" و"فلسطين" و"بلادنا" و"دولة فلسطين".

جدول رقم (1)

عدد الصفحات	123صفحة	163صفحة	58صفحة	66صفحة	39صفحة	41صفحة	75صفحة	78صفحة	المجموع
المقرر الكلمة	لغتنا الحميلة ص 1 أجزاء	لغتنا الجميلة ص 10 أجزاء	التربية الوطنية جزء 1	التربية الوطنية المدنية جزء 1	التربية المدنية جزء 1	التربية المدنية الإسلامية جزء 2	التربية الدينية المسيحية	المجموع	
فلسطين	6	15	6	14	6	3	5	7	62
دولة فلسطين	8	2	1	1	1	3	1	1	18
الوطن	15	15	6	13	6	5	3	7	70
الضفة الغربية	1	1	1	1	1	1	1	1	8
غزه	1	2	1	1	1	1	1	1	9
المجلس الوطني التشريعي	3	4	2	3	3	3	1	1	20
ديمقراطية	5	6	6	7	5	7	7	8	51
تسامح	7	14	4	5	4	5	11	9	59
القدس	23	13	2	2	1	1	4	1	47
الفلسطيني	5	7	4	10	3	3	2	4	38
بلادنا	3	7	0	1	0	0	0	1	12
الإبتعبار / الإحتلال	0	0	2	2	2	0	0	1	6
السلطة الوطنية الفلسطينية	5	0	0	0	5	0	0	0	10
المجموع العام									410

جدول رقم (2)

عدد الصفحات	16 صفحة	153 صفحة	147 صفحة	95 صفحة	99 صفحة	103 صفحة	125 صفحة	83 صفحة	55 صفحة	المجموع
المقرر	لغتنا الجميلة الصف السادس ج1	لغتنا الجميلة الصف السادس ج 2	تاريخ العرب والمسلمين الصف السادس ج1	التربية الإسلامية الصف السادس ج 1	التربية الإسلامية الصف السادس ج2	مبادئ في الجغرافيا البشرية الصف السادس	التربية الدينية المسيحية	التربية الوطنية الصف السادس	التربية المدنية	المجموع
الكلمة	43	21	7	19	4	19	5	59	5	182
فلسطين	4	4	4	2	4	2	2	34	9	65
دولة فلسطين	21	18	6	28	4	4	3	17	9	110
الوطن	1	1	1	2	1	3	1	4	1	15
الضفة الغربية	3	1	1	1	1	2	1	3	1	14
غزه	2	2	1	2	1	1	1	41	8	59
المجلس الوطني / التشريعي	4	4	10	2	3	0	3	72	51	149
ديمقراطية	12	24	17	14	17	1	28	44	12	169
تسامح	8	35	5	3	3	2	1	17	2	76
القدس	8	14	3	6	1	6	3	83	5	129
الفلسطيني	6	3	1	0	0	0	2	10	14	36
بلادنا	4	7	3	2	0	0	0	10	14	36
الاستعمار / الاحتلال	0	0	0	1	1	0	0	7	0	9
السلطة الوطنية الفلسطينية	0	0	0	1	1	0	0	7	0	9
المجموع										953

(جدول رقم "3")

تكرار الكلمات الواردة في المنهاج الفلسطيني للصف الأول الأساس .

70	الوطن
62	فلسطين
60	تسامح أو التعايش
51	ديمقراطية
46	القدس
36	الفلسطيني
20	المجلس التشريعي والوطني
18	دولة فلسطين
12	الاستعمار
10	بلادنا
9	غزه
8	الضفة الغربية
6	السلطة الوطنية الفلسطينية

الهوامش

- (1) د. كمال المنوفي، التنشئة السياسية في الأدب السياسي المعاصر، مجلة العلوم الاجتماعية، السنة السادسة، عدد 4، يناير 1979، ص 2
- (2) د. بطرس غالي، د. خيرى عيسى، المدخل في علم السياسة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة السابعة، 1975، ص. ب 38 – 39.
- (3) أرسطو، السياسات، نقله من اليونانية وعلق عليه الأب أغسطس بربارة البوليسى، بيروت، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، 1957، ص 419 – 420.
- (4) Gabriel Almond and Sidney verba , eds , he civic culture Revisited, (Boston: Little Brow & 1980) ,p.s
- (5) Sidney verba , “ comparative political culture “,in Lucian pye and Sidney verba , eds., political culture and political Development , (N. J: Princeton university press , p. 513. , (1965
- (6) Eric Row , Modern politics: An Introduction to Behavior and Introduction to Behavior and Institutions (London: Routledge and kegan Paul , 1969) p. 12
- (7) Herbert Hymen , political socialization: A study in the psychology of political Behavior (new York: free of Glencoe , 1959) p. 25
- (8) Kenneth langton , political socialization , (Boston: little Brown , 1969) p. 4.

Fred Greenstein , "political socialization " , International Encyclopedia of the social sciences , 1968 vol. 14., p. 551 (9)

Norman Adler and Charles Harrington eds , the learning of political Behavior , (new York: folesman , 1976) p. 70 (9)

Hess and J. Tourney, " The Family and school as Agents of socialization, in: Adler and Harrington, op. Cit. , pp / 124 – 127 , Robert sigel , ed., A reader in political socialization, (new York: Random House, 1970), p.p. 311 – 315 (10)

(11) المصدر السابق، ص. 37 – 48.

(12) د. عبد الباسط عبد المعطي، التعليم وتزييف الوعي: دراسة في استطلاع مضمون المقررات الدراسية " . مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 12، عدد 4، شتاء 1984، ص 55 – 79.

(13) د. نادية سالم، التنشئة السياسية للطفل العربي: دراسة لتحليل مضمون الكتب المدرسية، المستقبل العربي، عدد 51 مايو 1983. ص. 54 – 66.

(14) نجلاء نصير بشور، القضية الفلسطينية والوحدة العربية في مناهج التعليم في الأردن وسوريا ولبنان، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978.

(15) د. كمال المنوفي، التنشئة السياسية للطفل في مصر والكويت: تحليل المقررات الدراسية، السياسية، السنة الرابعة والعشرون، عام 1991، يناير 1988. ص 38 – 65.

(16) التربية المدنية للصف الأول الأساسي، الجزء الثاني، ص 14 – 17.

(17) التربية المدنية للصف السادس الأساسي، ص 28.

(18) المصدر نفسه، ص 28.

(19) المصدر نفسه، ص 38 – 39.

(20) التربية الوطنية للصف السادس الأساسي، ص 23.

(21) المصدر نفسه، ص 5، والمادة 5 من مشروع القانون الأساسي للسلطة الوطنية الفلسطينية.

(22) التربية الوطنية للصف السادس الأساسي، ص 35.

(23) المصدر نفسه، ص 37.

(24) المصدر نفسه، ص 37.

(25) المصدر نفسه، ص 37.

(26) المصدر نفسه، ص 34.

(27) التربية الوطنية للصف السادس، ص 47.

(28) المصدر نفسه، ص 71.

- (29) التربية الوطنية للصف السادس الأساسي، ص 71.
- (30) المصدر نفسه، ص 71.
- (31) التربية الوطنية للصف السادس الأساسي، ص 71.
- (32) المصدر نفسه، ص 72.
- (33) آية (46) العنكبوت، المصدر نفسه، ص 72.
- (34) المصدر نفسه، ص 74.
- (35) المصدر نفسه، ص 75.
- (36) المادة 19 من مشروع القانون الأساسي للسلطة الوطنية الفلسطينية، المصدر نفسه، ص 75.
- (37) المصدر نفسه، ص 77.
- (38) المصدر نفسه، ص 77.
- (39) المصدر نفسه، ص 77.
- (39) انظر جدول رقم (1) و جدول رقم (2).
- (40) التربية الوطنية، الصف الأول الأساسي، الجزء الثاني، ص 58.
- (41) المصدر نفسه، ص 53.
- (42) المصدر نفسه، ص 47.
- (43) انظر جدول رقم (1) ورقم (2).
- (44) التربية الوطنية، الصف السادس، ص 13.
- (45) انظر: د. سعد الدين إبراهيم، أساليب تنمية الوعي القومي لدى الطفل العربي، ص 22.
- (46) التربية الوطنية للصف السادس، ص 5 – 6.
- (47) المصدر نفسه، ص 6.
- (48) لغتنا الجميلة، الصف السادس الجزء الثاني، ص 110 – 111.
- (49) تاريخ العرب والمسلمين للصف السادس، ص 8.
- (50) المصدر نفسه، ص 3.